الجذور القبلية للأزمة الاتحادية

زايد : اكثرهم نفطا اضعفهم اصلا

راشد : العصا الايرانية في عجلة الاتحاد

# انفجرت الازمة فهرعت السعودية وايران وبريطانيا لتطويقها

لا يخلو حديث لاي حاكم من حكام الامارات السبع التي يتشكل منها اتحاد الامارات العربية من « اعتزاز » بدوره في بناء صرح هذا الاتحاد ، و « استيائه » من تصرفات الاخرين اللادستورية ، والهادمة لبنيان الدولة ، والمعيقة لمسيرتها الاتحادية . ويصل الامر برئيس الاتحاد زايد بن سلطان الى اعتبار قيام الاتحاد اكبر انجاز له على امتداد السنوات الاثني عشر من حكمه . اما « راشد » فهو لا يكف عن المناداة بضرورة تطبيق الدستور ، ولوائحه الداخلية ، ويذهب الى ابراز التلكؤ في انجاز بعض المشروعات الاتحادية كاقامة العاصمة، والتي يراها مشكلة مهمة وعامل اعاقة لا يستهان به .

وبغض النظر عن ادعاءات اي من الحكام ، ودون اهتمام يذكر للاسباب التي يضعونها على الرغم من صحة العديد منها ، الا ان مكانها ليس في قائمة الاسباب ، وانما في قائمة النتائج ، حيث ان الاسباب التي تعيق مركزة الدولة الاتحادية ، وتحول دون بلورتها كمؤسسة مركزية لها علاقاتها المحددة الواضحة مع الامارات .. هذه الاسباب ولدت مع انبثاق الاتحاد كدولة ، ولم تقطع حبل سرتها الذي ظل يغذي تلك الاسباب ، مستمدا مكوناته من الاصول التاريخية لكل امارة ، بواقعها السكاني ، والسياسي ، وانتماءاتها القبلية ، وعلاقة كل منها مع الدول المجاورة كالسعودية وايران ، والدول الاستعمارية وخاصة بريطانيا .

## « الامارات المتصالحة »

فالتاريخ لا يعترف بوجود مثل هذه الدولة التي يفترض ان تكون جزءا من عمان الطبيعية ، وهو ما تؤكده جذور سكانها الذين ينتمون الى قبائل عمانية هاجر معظمها في الهجرات الاولى اما من اليمن ، او اواسط الجزيرة العربية ، وطبيعيا لا توجد حواجز طبيعية فاصلة ، وحقيقة الامر ان الاستعمار البريطاني ، حين كان يعاني من قوة البحرية العربية في الخليج ، وخاصة العمانية ، وعلى وجه التحديد تلك التي كانت بحوزة قبائل « القواسم » ، وجد ان اقتطاع هذا الجزء من عمان ، والذي اطلق عليه « ساحل القراصنة » ، وتمزيقه الى اوصال صغيرة سيسهل عليه محاصرة القواسم وضرب قوتهم البحرية ، وارغم حكام الامارات ـ وهم في الاصل زعماء قبائل او عشائر استقرت في المدن الساحلية لتمارس صيد الاسماك ، وبعض اشكال الزراعة البدائية ـ في العام ١٨٢٠ على توقيع معاهدة السلام الاسترقاقية ، والتي من حينها عرفت هذه المنطقة « بساحل الامارات المتصالحة » .

وظلت بريطانيا هي سيدة الموقف ، وهي القوة الاستعمارية الوحيدة التي راحت ترسم ، وتعيد رسم الخارطة السياسية لهذه المنطقة من خلال الاتفاقيات التي تلت معاهدة السلام ، وابرزها الاتفاقية المانعة التي وقعت في العام ١٨٩٢ ، والتي خولت بريطانيا ، ـ اضافة الى نفوذها الداخلي ـ بتمثيل الامارات في علاقاتها الخارجية .

وحرصت بريطانيا طيلة هذه الفترة على تكريس التجزئة ، وترسيخ التمزق مستغلة في ذلك الصراعات القبلية والطائفية حينا ، والمشكلات الاجتماعية حينا اخر . هذا بالاضافة الى اذكاء عامل التنافس بين الامراء ، والتلويح بالمكاسب الاقتصادية والسياسية الضخمة لمن يثبت كفاءة وقدرة اكبر في خدمة التاج البريطاني ، وهو ما يغذي الصراعات ويؤججها .

## لماذا وحدوهم ؟

الا انه ومع مجيء الستينات ، وبالذات في النصف الثاني منها ، بدأت بريطانيا لا تشعر بثقل مسؤولية الدفاع عن المنطقة ، بل انها الدولة الاستعمارية الوحيدة التي تتحمل القسط الاكبر في القيام بذلك الدور ، في حين ان استفادة دول مثل الولايات المتحدة من ثروات الخليج وموقعه الاستراتيجي كانت لا تقاس مع المسؤولية التي تتحملها هذه الدولة . على هذا الصعيد ، وخاصة حين تقارن مع تلك التي تجنيها بريطانيا . ان هذا لا يقلل من شأن الارباح التي كانت تحققها الامبريالية البريطانية ، لكن فقط يشير الى ان اداء المهمة لا يتناسب ومردودها ، مع ضرورة اخذ ذلك في اطار تقاسم الارباح بين العواصم الامبريالية .

وبناء عليه شرعت بريطانيا في محاولاتها لاعادة ترتيب الاوضاع بما يتلاءم ومصالحها الخاصة دون ان تصطدم وبتناقض مع المصالح الامبريالية الاخرى . وهكذا بدأت المسيرة الاتحادية الاولى التي ظهرت نواتها الاولية في ١٨ شباط ١٩٦٨ حين اعلنت اذاعة دبي بيانا مشتركا موقعا من زايد حاكم ابو ظبي ، وراشد حاكم دبي يعلن قيام اتحاد فيدرالي بين الامارتين ، ويدعو امارات الساحل الاخرى ، وكذلك قطر والبحرين للدخول في هذا الاتحاد .

وبدأت الاجتماعات الواحد تلو الاخر ، وامتدت الفترة الى حوالي ثلاث سنوات ، صرف خلالها على الدعوات ، والاجتماعات ، والحفلات ، والولائم .. الخ . اكثر بما لا يقاس مع ما صرف من اجل وضع ركائز حقيقية لاتحاد صحيح . وكان واضحا ان الخلاف الاساسي ـ دون الخوض في التفاصيل ـ هو حول عدد الامارات المكونة للاتحاد ـ هل تكون تسع امارات . وهذا يعني انضواء قطر والبحرين اضافة الى امارات ساحل عمان ، ام يكتفى بهذه السبع الاخيرة .

ولم يكن الخلاف مجردا ، بل كان يعبر في صلبه المستمد من عوامل داخلية عن ذلك الصراع المحتدم بين بريطانيا والولايات المتحدة ، ففي حين كانت الاولى تحبذ اتحادا تساعيا ، يشكل حجما بشريا واقتصاديا تستطيع ان تعتمد عليه في صراعها التنافسي مع الحليفتين الاساسيتين للولايات المتحدة في هذه المنطقة . وهما طهران والرياض ، كانت واشنطن ترى ان اتحادا سباعيا هو الاكثر ملاءمة لها ، حيث ان حجمه سيكون قزما مقارنة مع الدول المحيطة ، ناهيك ان البحرين ، وقطر سيكون ولاءهما للسعودية عامل تعزيز للجناح الامريكي ضد الجناح البريطاني في هذه الساحة ..

واعلن قيام الاتحاد في تشرين الثاني عام ١٩٧١ من الامارات الست ، حيث ان رأس الخيمة لم تنضم اليه الا في ١٠ شباط ١٩٧٢ . وكانت هزيمة المشروع البريطاني وفوز منافسه الامريكي، لكن الولادة كانت عسيرة ، وكما قلنا ، لم تقطع حبل السرة مع عوامل الخلاف التي تغذيها ، ولا تزال تفعل فعلها في تنميتها ، على الرغم من توفير كل مظاهر واحتياجات مركزة الدولة : دستور موحد ، علم واحد ، وزارة اتحادية .. الخ، ان استخدام اخر مخترعات القرن العشرين ، وامتلاك « الفيديو كاسيت » واقامة مراكز للاقمار الصناعية في اكثر من امارة ليست كافية لانتزاع العقلية القبلية ، واجتثاث جذورها ، خاصة وان هذه « النهضة الصناعية ـ التقنية » ليست بنت نهوض اجتماعي داخلي ، وانما معدات استوردت ويقوم على تشغيلها ، وصيانتها ، وغنم الفائدة الاقصى منها اطراف اجنبية تتفاوت بين ذلك العامل الاجنبي الذي قدم الى الامارات بحثا عن لقمة العيش ، ويجري استغلاله في كل لحظة ، وذلك الاحتكار العالمي الذي ينهب الثروات ويحقق الارباح . المهم ان مواطن الاتحاد ظل والى الان حبيس العلاقات العشائرية ، وانماط الحياة القبلية . التي تنكر استحالة زوالها ، ولكن ذلك يحتاج الى وقت وثورة حقيقية .

لذلك فحين قام الاتحاد ، نصبت بريطانيا زايد بن سلطان حاكما اعلى عليه لا لشيء الا لكون ابو ظبي هي الامارة الاغنى نفطيا . كانت الثروة النفطية هي العامل الوحيد الذي اوصل زايد الى سدة السلطة الاتحادية ، وفيما عدا ذلك فكل العوامل ضده .

فمن الحقائق انه ينتمي الى « البوفلاح » وهي ليست من الافخاذ القوية في قبيلة بني ياس التي بدورها لا تمثل تجانسا بشريا ، بل على العكس من ذلك اذ انها تتألف من مجموعة من القبائل الصغيرة التي قبلت الخضوع لزعامة موحدة .

وهذا يجعل زايد ، اجتماعيا ، ضعيفا وفي موقع متدني مقارنة معقبائل القواسم التي لا يزال اصلها التاريخي غير معروف ، حيث يذهب البعض الى القول انها قد قدمت من اواسط الجزيرة العربية ، في حين يعتقد اخرون انها قادمة من الساحل الغربي للخليج حيث القبائل العربية التي تقطن « عربستان » . المهم آن « القواسم » كانوا سادة شواطىء الخليج ، ولم يستطع البرتغاليون ولا الهولنديون اخضاعهم ، وارتبط تاريخهم بتاريخ نضال شعوب المنطقة ضد القوى الاستعمارية . والى هذه القبيلة ينتمي حاكم رأس الخيمة ، والشارقة .

وحتى داخل « بني ياس » ينتمي زايد الى الفرع الاضعف مقارنة مع منافسه الاخر والذي هو راشد المنحدر من فرع « آل بوفلاسة » الذين يعتبرون احد فروع الرواشد اكبر اقسام بني ياس ، التي تصل بعض افرعهم الى البحرين ، وتمتد لتصل الى بعض سواحل مسقط .

## المفيتو النفطي

دانت القبائل الاتحادية المتفوقة ـ نسبيا ـ الى زايد حين كانت ثروته النفطية عنصرا هاما من عناصر نفوذه عليها ، الا انه ومع اكتشاف النفط في رأس الخيمة ، وكذلك الشارقة ـ قواسم ـ وازدياد المردود التجاري لدبي ، بدأت هذه الامارات تطمح الى مناصب اكبر ومواقع اهم في الدولة الاتحادية .

فدستور الاتحاد الذي يعطي لكل امارة صوت في المجلس الاتحادي الاعلى يخص ابو ظبي ودبي دون سائر الامارات بحق الفيتو في اي قرار يصدر عن اغلبيته ، حيث تقول المادة ( ٤٩ ) « تصدر قرارات المجلس الاعلى في المسائل الموضوعية باغلبية من اعضائه ( المجلس الاعلى ) على ان تشمل هذه الاغلبية صوتي امارتي ابو ظبي ودبي ، وتلتزم الاقلية برأي الاغلبية المذكورة .

اما في المجلس الوطني الاتحادي ـ سلطة تشريعية مجردة من سلطات الا تلك ذات الطابع الاستشاري ـ فهو مشكل من ٣٤ عضوا موزعة مقاعده وحسب المادة ٦٨ من الدستور على النحو التالي :

| | |
|---|---|
| ابو ظبي | ٨ مقاعد |
| دبي | ٨ مقاعد |
| رأس الخيمة | ٦ مقاعد |
| عجمان | ٤ مقاعد |
| ام القيوين | ٤ مقاعد |
| الفجيرة | ٤ مقاعد . |

هذا التمايز اذا كانت تقبل به « ام القيوين »، او « الفجيرة » وهي من الامارات الصغيرة ـ فمن غير الممكن ان ترضى به « رأس الخيمة » خاصة بعد اكتشاف النفط فيها ، اذا اخذنا بعين الاعتبار موقعها الاستراتيجي وثقلها السكاني . وهذا ما وضع العصا ـ في الكثير من الاحيان ـ في عجلة المسيرة الاتحادية ولم يوقفها عن الدوران بل كاد ان ينسف العربة بكاملها .

## دور الصراع السعودي ـ الايراني

على الرغم من قناعتنا المطلقة بالعلاقات الوثيقة ، والوشائج المتينة بين كل من طهران والرياض ـ كل على حدة ـ مع واشنطن ، ودور هذه وحرصها على توثيق العلاقات بين الحلفاء ، الا انه من الضروري الاشارة بل والتأكيد على ذلك الصراع التنافسي بين العاصمتين على زعامة الخليج ومواقع النفوذ فيه .

ان المصاب بالعمى السياسي والذي يرى حركة الصراع في اي مجتمع او منطقة بشكل مسطح يفقد القدرة على تشخيص الابعاد المتعددة للصراع ، ويفوته التجرد الموضوعي في التحليل المستمد جذوره من صلب المجتمع وحركة الصراع فيه التي لا تسير بشكل مستقيم ، ولا تتطور في خط بياني مستقيم تكون فيه العلاقة بين تطور الاحداث وصيرورتها جامدة وتعلو بشكل مطلق لا يعرف التراجع ولا الالتواء.

ان جدلية الصراع ، والفهم العلمي لحركته ،